الشرق الاوسط وتعدّد الخلفيات في توازن الرعب النووي

د. تيسير الناشف

في الشرق الاوسط، اسرائيل هي الدولة الوحيدة الحائزة على الاسلحة النووية. ولعدد من الدول العربية انشطة في المجال النووي. ان حيازة اسرائيل لهذه الاسلحة تحفّز دولاً عربية على السعي الى حيازة هذه الاسلحة. وليس من المستبعد ان تحوز، في المستقبل، دولة عربية واحدة، أو اكثر، على هذه الاسلحة. واذا حازت دولة، أو دول، عربية على اسلحة نووية، فسيصبح الشرق الاوسط منطقة نووية متعددة القطب[١].

ثمّة ما يبدو توازناً ردعياً نووياً مستقراً نسبياً بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة، الدولتين العظميين اللتين لديهما ترسانة كبيرة من الاسلحة النووية. وذلك الاستقرار النسبي في توازن الردع النووي بين الدولتين العظميين هو نتيجة مجموعة عوامل مختلفة: عوامل تكنولوجية، والظروف التاريخية لنشوء التوازن، ومستوى الاحتكاك بين الطرفين، وطابع وبنية المجتمعات والانظمة وغيرها.

هنا، سنتناول، بايجاز، قسماً من تلك العوامل في سياق العلاقات بين الدولتين العظميين، وسياق العلاقات بين اسرائيل والدول العربية؛ وسنبيّن الاختلافات بينها في السياقين. وتنطلق هذا المقالة من الافتراض انه، نظراً الى تلك الاختلافات، فانه ليس من الصحيح الاستنتاج بصورة مبسّطة ان الحالات الناشئة عن مجموعة العلاقات بين الدولتين العظميين تنطبق، بالضرورة، على مجموعة العلاقات بين اسرائيل والدول العربية. وعلى نحو أدق تحديداً نظراً الى الاختلاف في القائمة بين هذه العوامل في السياقين، فان ما يبدو استقراراً نسبياً في توازن الردع النووي بين الدولتين العظميين لن ينشأ في سياق العلاقات بين اسرائيل ودولة عربية، في حالة حيازة هذين الطرفين على الاسلحة النووية.

عوامل تكنولوجية

ان مذهب الردع النووي ينطوي على التهديد بالانتقام النووي المهلك، ملحقاً ضرراً «غير مقبول» في حالة عمل يقوم به الخصم ويعرّض للخطر مصالح امنية حيوية. ان احد المقوّمات الهامّة لايجاد توازن الردع النووي المستقر هو قوة الضربة الثانية. وتوازن الردع يُفهم انه يعني ان كل طرف يعرف ان الطرف الآخر يمتلك اسلحة نووية، وان هذه الاسلحة مخبأة ومحمية الى درجة ان من المستحيل القضاء عليها بضربة واحدة. وذلك يعني ان الضربة المباغتة، أيضاً، لا تضمن انتصاراً للطرف الذي يقوم بالهجوم، لأن الطرف الذي تعرّض للهجوم يمكنه ان ينتقم بالقيام بضربة نووية.

لقد نجحت الدولتان العظميان، طوال السنين، في تطوير قوة الضربة الثانية؛ وقد سبقت